إيمان ذى النون ورابعة العدوية

للكاتب المغربى

للأستاذ عبد السلام محمد الكويرة

يقول ذو النون المصرى عرفت ربى بربى ، ولولا ربى ماعرفت ربى .. ثم يقول: إلهى ، كل ما أصغى إلى صوت حيوان ، وحفيف أوراق وخرير ماء وتغريد طائر وذوى رن وقصف رعد وجدت كل ذلك شاهد بوحدانيته دال على أنك ليس كمثلك شىء ... إلهى لا تترك بينى وبين أقصى مراد حجابا إلا هتكته ولا حاجزاً إلا رفعته ولا وعراً إلا سهلته ، ولا بابا إلا فتحته حتى تقيم قلبى بين ضياء معرفتك ، وتذقنى طعم محبتك ، وتبرد بالرضى منك فؤادى وجميع أحوالى ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لى مقاما بين مقامات أهل ولايتك وميدانا فسيحا فى ميدان طاعتك :

وتقول رابعة العداوية إلهى ، إذا كنت أعبدك رهبة من النار فاحرقنى بلهيبها ، وإن كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنى منها ، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى . . .

وأعلم يا أخى أن سبيل العبد إلى إقبال الرب عليه وحبه له هو أن يكون العبد صابراً شاكراً ذاكراً ، أما إذا كان العبد ساهياً لاهياً معرضا عن ذكر ربه فذلك علامة أعراض الله عنه . وهو سبحانه إذا آسى العبد بخلقه أوحشه من نفسه . وإذا أوحشه من خلقه آنسه بنفسه .

فمعرفة الله تطالب بأداء حقه ، وقراءة القرآن تطالب بالإمتثال لما فيه ومحبة الرسول تطالب باتباع لسنته ، ولعن إبليس تطالب بعدم اتباع هواه ، وذكر عيوب الناس تطالبنا بذكر عيوبنا لا عيوب غيرنا . فالإنسان الكامل يكون محبا للناس مشفقا عليهم ، ساتراً لعوراتهم ، قائما بحاجاتهم . واعلم يا أخى أن أكبر الكرامات هى أن تبدل خلقا مزموما من أخلاق نفسك بخلق محمود . فلا تغتر بالمظاهر من

الخلق ... فقد سئل أبو يزيد عن رجل لبسط مصلاة على الماء وتربع فى الهواء فقال لا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه فى الأمر والنهى . . . وسئل أبو يزيد عن رجل يمر فى ليلة إلى مكة فقال : الشيطان يمر فى لحظة من المشرق إلى المغرب وهو فى لعنة الله .

وسئل على - كرم الله وجهه - عن العباد فقال هم ثلاثة أصناف : صنف عبد الله رغبة فعبادته تجارة . وصنف عبده رهبه فعبادته عبادة الرقيق . وصنف عبده عبادة شكر فعبادته عبادة الأحرار . جعلنا الله منهم .